في أثناء اقامته فيها. مع ذلك، يمكن القول ان الامر برفض الانتداب قد حسم في هذا المؤتمر حتى مع تمسك الحركة الوطنية الفلسطينية، في ادبياتها، بقرن الانتداب بوعد بلفور ورفضه على هذا الاساس وحده، أو، كما ذكر بيان اللجنة التنفيذية المنبثقة عن المؤتمر الخامس، في الأول من أيلول (سبتمبر) ١٩٢٢: «اجمعت الامة العربية الفلسطينية على رفض الانتداب ومشروع انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وذلك بعد أن تجلت لها نتائج هذه السياسة الرهيبة»(٨٣).

وبهذا، يمكن ان نستنتج انه مع مصادقة عصبة الامم على صك الانتداب، وبعد توالي البراهين الملموسة في اجراءات السلطات البريطانية في فلسطين في ما يتصل بالهجرة اليهودية وبانتقال الاراضي وبغيرهما، اتضحت لقيادة الحركة الوطنية صعوبة حمل بريطانيا على التخلي عن تأييدها للمشروع الصهيوني، فوهنت، بالتالي، اسس الخطة التي قامت على اساس المساومة على انتداب بدون وعد بلفور، دون ان تنتفي رغبة الحركة الوطنية في التعاون مع بريطانيا، على نحو أو آخر. هذا التطور له أهميته البالغة، ليس في ميدان موقف الحركة الوطنية من مسألة رئيسة كهذه، فحسب، بل، كذلك، في ميدان تطوير اساليب عملها. والحقيقة ان فشل مهمة الوفد المفاوض الاول وانعكاس هذا الفشل في اتخاذ المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس موقفاً واضح المعنى برفض الانتداب وما رافق ذلك من ازدياد السخط الشعبي ضد بريطانيا انعكست، على الفور، منذ تموز (يوليو)، في لهجة الحركة الوطنية ضد بريطانيا. وما يمكن ان نلاحظه بهذا الصدد يتجلى في غياب التمجيد الذي كانت تحمله بيانات الحركة الوطنية، وحتى احتجاجاتها، لبريطانيا ولدورها العالمي ولعدالتها، كما يتجلى في تزايد الحذر في التعبير عن الامل في امكان حملها حملاً على انصاف العرب. وقد عكس هذا التطور، خير ما عكسه، رد اللجنة التنفيذية على بيان اصدره سكرتير الحكومة بمناسبة الدعوة الى انتخابات المجلس التشريعي؛ فهذا الرد يورد: «يحسن بالحكومة ان تعلم ان فلسطين لا تتغذى بالكلام، وانها غير ما كانت عليه بالامس، فهي اليوم، كالشرق كله، لا تؤمن الا بالواقع ولا قيمة عندها للاقوال؛ اذ ان الوعود والعهود الرسمية لم تجدها نفعاً، فكيف بالاقوال المجردة»(٨٤).

غير ان ملاحظة هذا التطور، والانتباه لأهميته، لا يعنيان ان موقف الحركة الوطنية قد وصل الى حد اعتبار بريطانيا خصماً أو عدواً، فتلك مرحلة اخرى في تطور الحركة الوطنية لم تكن قد بلغتها الّا بعد ذلك بسنوات عدة، وان كانت شرائح منها سوف تسبق الاخرى على هذا الطريق، وشرائح غيرها لن تبلغ نهايته الّا بعد فوات الاوان. ورد اللجنة التنفيذية على بيان سكرتير الحكومة، الذي اقتبسنا منه اعلاه، حدد مواقف من هذه، أو تلك، من بنود السياسة البريطانية تجاه فلسطين، دون ان يظهر موقفاً ضد الوجود البريطاني في فلسطين، ذاته. وهكذا، لم تدم، طويلاً، غضبة قيادة الحركة الوطنية على بريطانيا الناجمة عن فشل مهمة وفدها الاول وعن مجيء صك الانتداب والدستور مما لا ينسجم مع مطالبتها بالغاء وعد بلفور وبالحكم البرلماني.

ولم تلبث هذه القيادة ان شكلت وفداً آخر، ثانياً، قام بمفاوضة المسؤولين البريطانيين في لندن. والحقيقة ان هذا الوفد تشكل، في الاساس، ليكون موجوداً في لوزان عندما عقد فيها المؤتمر الدولي للتداول في ترتيبات الصلح النهائي مع تركيا، في ربيع ١٩٢٣، وكان من المعروف ان تقرير مصير البلدان العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية، ومنها فلسطين، سيكون على جدول اعمال هذا المؤتمر. ولمحاولة حمل السلطات التركية على التشدد في معارضة وعد بلفور، ابتدأ الوفد بزيارة أزمير؛ ثم انتقل الى لوزان، حيث أجرى ما رأى انه ممكن من الاتصالات. ومن لوزان، انتقل الوفد العربي الفلسطيني الثاني الى لندن، «اذ بينما كانت مداولات المؤتمر سائرة من وجهة لا تأتلف مع